

المقدمة موضع «السرقات الأدبية» من أهم الموضوعات التي أولاها نقاد الأدب كثيراً من عنايتهم ، وأمل هذا الموضوع كان من أبرز الموضوعات التي جهها النقد العربي . إذ كان من أهم الأهداف النقدية الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها إذ كان من أهم الأهداف النقدية الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها أو مبلغ ما يديبن به أصحابها السابقين من المبرزين من الأباء من التقليد أو الابتعاد وكانت تلك النظارات توقف على ما امتاز به أديب من أديب ، وتدل على مدى العبرية التي تميز بها جماعة منهم . كان النقاد بخلافهم في أكثر تقدمهم إلى الموازنة بين أديب وأديب ، وكان من أهم ما يعنون به في هذا المجال الفحص عن نواحي الاتفاق بين أدبيين ثم ما ينفرد به أحدهما عن غيره ، تدل في أكثرها على الذوق السليم ، لخصلية خدمة تلخيص النصوص العربية أونلاين، قم بتلخيص نصوصك بضغطة واحدة من خلال هذه الخدمةنتيجة التلخيص (98%) وإلى ذلك يحتاج الحكم بالسرقة أو الابتکار إلى سعة معرفة بالأدب وفنونه ، واطلاع واسع على التراث الأدبي في سائر عصوره وموطنه ، وحفظ طاقة كبيرة للمشهورين والمغمورين من الأباء ، حتى يسهل ربط المتقدم بالمتاخر ، ويعرف السابق من اللاحق ، ويمكن حينئذ الحكم بالتقليد ومن ناحية أخرى فإن هذه الدراسة في حقيقة أمرها ، وما تقضيه طبيعتها دراسة تطبيقية عملية ، أكثر منها دراسة نظرية تخضع للأصول الموضوعة والقواعد المرسومة ، التي تقوم في أكثرها على المنطق والاستدلال ، وتخضع لقوانين التحديد والتقطیم . وهذا الاتجاه يجعل للبحث في السرقات الأدبية قيمة كبيرة ، لأن الدراسة العملية أو التطبيقية في مسائل النقد الأدبي دراسة بجدية ؛ إذ أنها دراسة موضوعية تستعمل فيها الأحكام من تلك الموازنات الدقيقة بين الأعمال الأدبية ، واستخلاص ما حوت من فنون الجمال ، وما يكون فيها من الابتکار أو الاحتداء . وبين أيدينا بعض الآثار التي تفيض بهذه الدراسات العملية ، التي أراد أصحابها أن يؤيدوا بها أحکامهم بالحجة القاطعة ، ويضعوا بين يدي الدارس الأسباب الظاهرة للأحكام التي يبدونها في المفاضلة بين أدبيين أو شاعرين . وهذا الأسلوب هو الذي جعل لآرائهم كثيراً من التقدير والاعتبار . وفي مثل هذا المنهج يختفي إلى حد كبير الأثر الذاتي في الأحكام الأدبية ، ذلك الأثر الذي يغض في كثير من الأحيان من قيمة تلك الأحكام ، إذا لم تكن مبنية على أساس من الموضوعية يقنع الدارس بصدق ما ذهب إليه الناقد ، وسلوكه الطريق الطبيعي في إصدار الأحكام . مع هذه اذهن الدراسة الموضوعية التي أشرنا إلى - نا إلى عظم جدواها في النقد وجدارتها بالاعتبار بجد جماعة من المؤلفين عمدوا إلى جمع جملة من تلك الأحكام ، وتنظيمها " ووضع حدودها وأقسامها ، وجمع الأمثلة والشواهد لكل منها ، تمر على الإحصاء والاستقصاء . به وجاء علماء البلاغة بعد ذلك ، فوجدوا موضوع «السرقات» من أنفس الموضوعات التي تعالج الأدب ، بل رأوه خير معالج النقاد ، وهم حريصون على تلك الجهود أن تتعدد ، ولم يجدوا مبحثاً من مباحث البلاغة الأصطلاحية يصلح أن يضم شتات هذا البحث النافع ؛ وجملوه خاتمة لمباحث الفن الثالث (فن البديع) ، وذيلوا كتابهم بهذا الموضوع (السرقات الشعرية) على الرغم من اعترافهم أن معنى السرقات لا يرجع ما يشتراك فيه الفنون الثلاثة أو ينفع فيها ، حتى يكون البحث في (السرقات) خاتمة لمجموع ما في كتابهم من مباحث البلاغة . فإن دراسة البلاعيين لموضوع السرقات كانت دراسة تقليدية ، كسائر الموضوعات التي عالجوها علاجاً قاعدياً أبعدها عن تحكيم الذوق واستشارة العقل والقلب ، كما كان هذا هو المنهج عند السبقين . والسبب في ذلك أن أكثر البلاغيين من طبقة صاحب الفتح ، ومن بعده قل حظهم من الملكة البيانية الأصلية ، وغابت عليهم روح الجدل والمنطق - وأدى هذا إلى أن يتعرضوا بأسلوبهم التقريري العلاج المسائل الحالية في الفن الأدبي ، وهو لم بعدهم إعداداً أديباً بشحذ الذهن ويستثير العواطف الإنسانية ، التي يتحرى الأدب والأدباء إثارتها ، وإن كان إعداداً جديلاً يبعد عن أهداف الأدب ومراميه . وكثير منهم - كما يرى القاضي الجرجاني (١) - لا يعرف من الشرق إلا اسمه فإن تجاوزه حمل على ظاهره ، ووقف عند أوائله ، وجد عارياً من معرفة واضحة ، قبل الوصول إلى مشكله . وهذا باب لا ينهض به إلا الناقد البصير ، والعالم المبرز وليس كل من تعرض له أدركه ، استوفاه واستكمله - لها - وإذا كان البحث في (السرقات) بحثاً في صميم م الأدب ، ودراسة لاختروعه القديم وما أخذته عنه المحدث ، فإن هذا البحث ينبغي أن يقوم على أساس من التاريخ ، وأن ينهض على التتبع التاريخي لكل جزئيات الفن الأدبي وإذا كانا نقول إن الأدب فن يرمي إلى تحقيق غرضه بوساطة العبارة ، فإن علينا أن ترجع إلى التاريخ ، وعن كل عنصر من عناصر الجمال المكونة لهذا الفن • رين الذي ابتدعه متى وجدت تلك الظاهرة ؟ ومتي استحدث هذا العنصر ؟ من أولئك الأباء الذين لا يحصى عددهم إلا الله ؟ وبعد الإجابة على تلك الأسئلة يكون من حق النقاد أن يسألوا عن الذين تداولوا هذا العمل فيما بعد ، ومن الذين اقتدوا بأصحابه فيها ابتدعوا منه • وتلك أمور مستقاةها بالتاريخ ، وبغير المعرفة التاريخية التي تقوم على التحديد (١) الوساطة بين المثنى وخصوصه لا يتسعني تحقيق الغاية كاملة من دراسة السرقات دراسة مجدهية . ولا تاريخ بغير مؤرخ ! ونحن في هذا المجال لانقصد مؤرخاً أيا كان ؛ بل إن المؤرخ الذي نعنيه

مؤرخ بعيد المثال ، ولا يمكن أن يكون موجوداً على الوجه الذي تريد إلا في عصور مزدهرة بالحضارة ، وبين عقول زاخرة بالمعرفة ، امتدت قـ البحث ، ونفرت من السطحية التي تنخدع بالمظاهر ، ولا تستطيع الغوص على العلل والأسرار . وكل ذلك بعيد غير مستطاع . والسبب في أسعد حصوله واليأس من تتحققـ ، أن ظواهر الخلق والإبداع كانت في عصور لا توصف في أكثر الأحيان بأنها من عصور النور والمعرفة ، ومثل تلك المصور يندر فيها وجود من تتطلعـ إليه تلك الدراسات من الباحثين احقـين . ثم إن أكثر تلك النواحي الإبداعية كانت فردية ، أي أن الذين خلقـوها وأبدعواها كانوا أفرادـ ، وأولئك الأفراد لم تكن لهم تلك القدرة على الإبداع بـ حكم تركيب الخلقة أو ترتيب البيئة أو الزمان أو المكان ، حتى نستطيعـ أن نقول على وجه التحقيق إن هذا المعنى مثلـ كان مستلزمـات تلك البيئة ، أو مقتضـيات ذلك الزمان ، فقد وجد القوة الخلقة والعبرية المبتدـعة ، على حين يوجد القادر على رصد إشـمامـات تلك القدرة ، أو تسجيلـ ما أبدـعـته من آثارـ • وقد تـوجـد العقلية القـادرـة على رصدـ الظواهرـ وتـبعـها في بيـةـ أو زـمانـ لـاعـبرـيةـ فيهـ ولاـ خـلـقـ ولاـ إـبدـاعـ !<sup>4</sup> علىـ هـذاـ فإنـ اـقـترـانـ الـخـلـقـ بـالـدـارـسـ شـيءـ فيـ حـكـمـ النـدرـةـ ، إـذـ لـمـ يـكـنـ فيـ حـكـمـ المـسـتـحـيلـ . وأنـ يـكـتبـ لهاـ شـيءـ منـ الذـيـوـعـ والـأـنـتـشـارـ ، يـتـيحـ فـرـصـةـ التـعـرـفـ عـلـيـهاـ وـتـبـيـنـ مـلـامـحـهاـ ، وـأـنـ يـكـونـ فيـ تـلـكـ الـظـاهـرـةـ ذـلـكـ مـنـ الصـفـاتـ ماـ يـجـعـلـهاـ جـديـرـ بـالـبـحـثـ وـالـدـارـسـ ، وـإـذـ ذـاكـ يـكـونـ وـجـودـ الدـارـسـ شـيـئـاـ طـبـيعـاـ ، لـاـ تـعـمـلـ فـيـهـ وـلـاـ كـدـ وـلـاـ مـجاـهـدـ . وـفـيـ سـبـيلـ الوـصـولـ إـلـىـ تـلـكـ الـحـلـقـاتـ الـمـتـابـعـةـ ، مـنـ جـهـودـ الـعـبـاقـرـةـ تـلـكـ الـعـقـبـاتـ الـمـضـنـيـةـ الـتـيـ أـشـرـنـاـ إـلـىـ شـيءـ مـنـهاـ . الـأـسـاسـ كـمـاـ قـدـمـنـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ أـسـاسـاـ تـارـيـخـاـ ، وـلـاـ شـكـ أـنـ كـانـ عـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ مـنـ الـعـسـرـ ، أـوـ عـلـىـ دـرـجـةـ قـرـيـبـةـ مـنـهاـ عـلـىـ الـذـيـنـ سـبـقـوـ إـلـىـ الـبـحـثـ فـيـ السـرـقـةـ أـوـ التـقـلـيدـ أـوـ الـاتـبـاعـ . وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـونـ سـرـقـةـ ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـدـعـيـ أـنـ هـنـالـكـ تـقـلـيدـاـ أـوـ اـتـبـاعـاـ ، إـلـاـ إـذـ كـانـ بـيـنـ أـيـدـيـنـاـ عـلـىـ يـمـيـنـيـ بـالـمـقـدـمـ أـوـ الـأـصـلـ ، حـتـىـ يـعـرـفـ الـمـتـبـوعـ مـنـ التـابـعـ ، وـالـأـصـلـ مـنـ الفـرـعـ مـعـرـفـةـ يـقـيـنـيـةـ ، وـعـنـدـنـ نـسـطـعـ أـنـ نـضـعـ أـيـدـيـنـاـ عـلـىـ السـرـقـةـ ، وـحـكـمـ حـكـمـ جـازـماـ يـوـقـعـهاـ غـيرـ شـاكـيـنـ وـلـاـ مـتـرـدـيـنـ . وـلـكـنـ هـذـاـ حـكـمـ الـجـازـمـ غـيرـ مـسـطـعـ ، مـعـ الـعـتـرـافـ بـضـرـورةـ هـذـاـ الـبـحـثـ ، وـعـظـمـ حـدـوـاءـ فـيـ الـدـرـاسـاتـ الـأـدـبـيـةـ وـالـنـقـدـ الـأـشـفـيـ وـهـذـاـ الـعـتـرـافـ يـقـضـيـنـاـ شـيـئـاـ مـنـ التـسـامـحـ : إـذـ كـانـ الـبـحـثـ فـيـ السـرـقـاتـ مـوـضـوعـاـ يـتـصـلـ بـالـنـقـدـ الـأـدـبـيـ ، وـهـدـفـ النـقـدـ التـميـزـ بـيـنـ الـقـسـمـ الـأـدـبـيـ الـصـحـيـحـ وـفـيـ هـذـاـ التـمـيـزـ لـمـ يـمـكـنـ أـنـ نـدـعـيـ أـنـ الـأـحـكـامـ الـتـيـ تـدـلـيـ بـهـاـ أـحـكـامـ لـازـمـةـ أـوـ مـلـزـمـةـ ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـدـعـيـ شـيـوعـ الـحـكـمـ أـوـ التـسـلـيمـ بـهـ تـسـلـمـهاـ مـطـلـقاـ مـلـزـمـاـ لـجـمـيـعـ الـعـقـولـ "ـ كـمـاـ هـوـ الشـأـنـ فـيـ الـعـلـومـ الـتـجـرـيـبـيـةـ وـالـعـلـومـ الـرـياـضـيـةـ . وـلـذـكـ كـانـ كـلـ كـلـ فـيـ السـرـقـاتـ كـلـاـمـاـ مـعـبـعـهـ الـاجـتـهـادـ ، فـيـ الـحدـودـ الـتـيـ تـمـكـنـ صـاحـبـهاـ مـنـ الـاجـتـهـادـ ، وـكـانـ مـبـنـيـاـ أـيـضاـ عـلـىـ الـاـطـلـاعـ الـذـيـ قدـ يـكـونـ وـاسـعـ الـمـدـىـ ، وـهـذـاـ الـاـطـلـاعـ فـيـ سـعـتـهـ وـفـيـ تـحـديـهـ ، لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـوـصـفـ بـالـإـحـاطـةـ الـمـسـتوـعـةـ ، لـأـنـ كـثـيرـاـ مـنـ هـذـاـ الـأـدـبـ أـصـابـهـ الـضـيـاعـ لـأـسـبـابـ كـثـيرـةـ ، إـذـ كـانـ قـدـ فـقـدـنـاـ جـانـبـاـ مـنـ الـأـسـسـ الـمـعـتـمـدةـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ فـيـ تـنـاوـلـ الـجـزـئـيـاتـ ؛ فـإـنـ أـمـامـنـاـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ ثـرـوـةـ فـيـ الـكـلـيـاتـ ، وـتـكـونـتـ لـدـيـنـاـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـعـارـفـ وـالـأـرـاءـ ، نـسـطـعـ بـهـاـ أـنـ نـدـونـ مـعـالـمـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ الـمـتـشـعـبـةـ ، وـأـنـ نـنـظـمـهـاـ مـنـ أـهـمـ الـنـوـاحـيـ الـتـيـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ الـمـحـدـثـونـ فـيـ الـدـرـاسـاتـ الـأـدـبـيـةـ وـالـنـقـدـ الـأـدـبـيـ . وـقـدـ كـانـ فـيـ طـولـ الـعـكـوفـ عـلـىـ درـاسـةـ الـنـقـدـ الـأـدـبـيـ ، وـتـبـعـ اـتـجـاهـهـ وـمـنـاهـجـهـ الـمـخـلـفـةـ مـنـ عـقـلـ إـلـىـ عـقـلـ ، وـمـنـ عـصـرـ إـلـىـ عـصـرـ ، مـاـ أـعـانـ عـلـىـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ الـتـيـ بـحـثـتـ فـيـهـاـ عـنـ موـاطـنـ الـابـتكـارـ وـمـحـالـاتـ التـقـلـيدـ ، مـتـجـهـاـ إـلـىـ الـتـعـلـيلـ الـنـفـسيـ وـالـتـأـثـيرـ الـاجـتمـاعـيـ فـيـ درـسـ ظـاهـرـةـ (ـ السـرـقـاتـ )ـ لـيـكـونـ مـنـ ذـلـكـ سـنـدـ لـدـرـاستـهاـ درـاسـةـ الـأـدـبـيـ وـنـقـدـيـةـ ، وـمـحاـلـاـ أـنـ أـطـوـفـ بـفـنـونـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ الـبـارـزـةـ فـيـماـ يـتـصـلـ بـمـوـضـوعـ السـرـقـاتـ . وـأـرـجـوـ أـنـ يـجـدـ الـقـارـيـءـ فـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ الـفـنـيـةـ وـالـنـقـدـيـةـ مـاـ كـانـ يـتـطـلـعـ إـلـيـهـ مـنـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ الـذـيـ نـالـ مـنـ قـدـاميـ الـبـاحـثـينـ مـنـ الـجـدـ وـالـعـنـايـةـ مـاـ لـمـ يـثـلـ بـعـضـهـ مـنـ عـنـايـةـ الـمـعاـصـرـينـ . وـالـأـمـلـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ يـعـينـ اللـهـ عـلـىـ درـاسـةـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ درـاسـةـ أـخـرىـ مـنـ النـاـحـيـةـ الـتـارـيـخـيـةـ ، تـوقـعـ عـلـىـ تـطـورـ الـفـكـرـ ، وـتـفـصـلـ جـهـودـ النـقـادـ الـتـيـ أـلـمـاـ بـطـرفـ مـنـهـاـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ ، النـصـ الـأـصـلـيـ أـوـ نـظـرـةـ سـطـحـيـةـ . وـإـلـيـ ذـلـكـ يـحـتـاجـ الـحـكـمـ بـالـسـرـقـةـ أـوـ الـابـتكـارـ إـلـىـ سـعـةـ مـعـرـفـةـ بـالـأـدـبـ وـفـنـونـهـ ، وـاطـلـاعـ وـاسـعـ عـلـىـ التـرـاثـ الـأـدـبـيـ فـيـ سـائـرـ عـصـورـهـ وـموـاطـنـهـ ، وـحـفـظـ طـاقـةـ كـبـيرـةـ لـلـمـشـهـورـينـ وـالـمـغـمـورـينـ مـنـ الـأـدـبـ ، حـتـىـ يـسـهـلـ رـبـطـ الـمـتـقـدـمـ بـالـمـتأـخـرـ ، وـيـعـرـفـ السـاـبـقـ مـنـ الـلـاحـقـ ، وـيـمـكـنـ حـيـنـئـ الـحـكـمـ بـالـتـقـلـيدـ وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ فـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ فـيـ حـقـيـقـةـ أـمـرـهـ ، وـمـاـ تـقـضـيـهـ طـبـيعـتـهاـ درـاسـةـ طـبـيـقـيـةـ عـمـلـيـةـ ، أـكـثـرـ مـنـهـاـ درـاسـةـ نـظـرـيـةـ تـخـضـعـ لـلـأـصـولـ الـمـوـضـوعـةـ وـالـقـوـاعدـ الـمـرـسـومـةـ ، الـتـيـ تـقـومـ فـيـ أـكـثـرـهـاـ عـلـىـ الـمـنـطـقـ وـالـأـسـتـدـلـالـ ، وـتـخـضـعـ لـقـوـانـيـنـ التـحـدـيدـ وـالتـقـسـيمـ . وـهـذـاـ الـاتـجـاهـ يـجـعـلـ لـلـبـحـثـ فـيـ السـرـفـاتـ الـأـدـبـيـ قـيـمةـ كـبـيرـةـ ، لـأـنـ الـدـرـاسـةـ الـعـمـلـيـةـ أـوـ الـتـطـبـيـقـيـةـ فـيـ مـسـائـلـ الـنـقـدـ الـأـدـبـيـ درـاسـةـ بـجـديـةـ ؛ إـذـ أـنـهـ درـاسـةـ مـوـضـوعـيـةـ تـسـتـعـمـلـ فـيـهـاـ الـأـحـكـامـ مـنـ تـلـكـ الـمـواـزنـاتـ الـدـقـيقـةـ بـيـنـ الـأـعـمـالـ الـأـدـبـيـ ، وـاستـخـلـاصـ مـاـ حـوتـ مـنـ فـنـونـ الـجـمـالـ ، وـمـاـ يـكـونـ فـيـهـاـ مـنـ الـابـتكـارـ أـوـ الـاحـتـنـاءـ . وـبـيـنـ أـيـدـيـنـاـ بـعـضـ الـأـثـارـ الـتـيـ تـفـيـضـ بـهـذـهـ الـدـرـاسـاتـ الـعـلـمـيـةـ ، الـتـيـ أـرـادـ أـصـاحـبـهـ أـنـ يـؤـيـدـوـهـاـ بـهـاـ الـأـحـكـامـ الـمـهـمـ ، بـالـحـجـةـ الـقـاطـعـةـ ، وـيـضـعـوـاـ بـيـنـ يـدـيـ الـدـارـسـ الـأـسـبـابـ الـظـاهـرـةـ لـلـأـحـكـامـ الـتـيـ يـبـدـونـهـاـ فـيـ الـمـفـاضـلـةـ بـيـنـ أـدـيـبـيـنـ وـشـاعـرـيـنـ . وـهـذـاـ

الأسلوب هو الذي جعل لآرائهم كثيرة من التقدير والاعتبار . وفي مثل هذا المنهج يختفي إلى حد كبير الأثر الذاتي في الأحكام الأدبية ، ذلك الأثر الذي يغضن في كثير من الأحيان من قيمة تلك الأحكام ، إذا لم تكن مبنية على أساس من الموضوعية يقنع الدارس بصدق ما ذهب إليه الناقد ، وسلوكه الطريق الطبيعي في إصدار الأحكام . مع هذه هذه الدراسة الموضوعية التي أشرنا إلى - نا إلى عزم جدواها في النقد وجدارتها بالاعتبار بجد جماعة من المؤلفين عمدوا إلى جمع جملة من تلك الأحكام ، سرقات أسماء كثيرة ، ومصطلحات مختلفة ، تمر على الإحساس والاستحسان . فوجدوا موضوع « السرقات » من أنفس الموضوعات التي تعالج الأدب ، وتنتقد نقداً موضوعياً . بل رأوه خيراً ماعلاج النقاد ، ولم يجدوا مبحثاً من مباحث البلاغة الاصطلاحية يصلح أن يضم شتات هذا البحث النافع ؛ فألحقوه بعلومها الثلاثة ، وحملوه خامة لمباحث الفن الثالث ( فن البديع ) ، حتى يكون البحث في ( السرقات ) خاتمة لمجموع ما في كتبهم من مباحث البلاغة . وأيا ما كان الأمر ، فإن دراسة البلاغيين لموضوع السرقات كانت دراسة تقليدية ، كشأنهم فيسائر الموضوعات التي عالجوها عالجاً قاعديةً أبعدها عن تحكيم الذوق واستشارة العقل والقلب ، كما كان هذا هو المنهج عند السابقين . والسبب في ذلك أن أكثر البلاغيين من طبقة صاحب الفتح ، ومن بعده قل حظهم من الملكة البينية الأصلية ، وغلبت عليهم روح الجدل والمنطق - وأدى هذا إلى أن يتعرضوا بأسلوبهم التقريري العلاج المسائل الحالية في الفن الأدبي ، وهم لم بعدوا أنفسهم إعداداً أدبياً بشحد الذهن ويستثير العواطف الإنسانية ، التي يتحرى الأدب والأدباء إثارتها ، وإن كان إعداداً جدياً يبعد عن أهداف الأدب ومراميه . فإن استثبتت فيه ، فضلاً عن غامضه ، وبعيداً من جلبه ، قبل الوصول إلى مشكله .

والعالم المبرز وليس كل من تعرض له أدركه ، ولا كل من أدركه ، استوفاه واستكمله - لها - وإذا كان البحث في ( السرقات ) يبحث في صميم م الأدب ، ودراسة لاختরعه القديم وما أخذته عنه المحدث ، فإن هذا البحث ينبغي أن يقوم على أساس من التاريخ ، فإن علينا أن ترجع إلى التاريخ ، لسؤاله عن كل ظاهرة أدبية ، وعن كل عنصر من عناصر الجمال المكونة لهذا الفن • رين الذي ابتدعه متى وجدت تلك الظاهرة ؟ ومتى استحدثت هذا العنصر ؟ من أولئك الأدباء الذين لا يحصى عددهم إلا الله ؟ وبعد الإجابة على تلك الأسئلة يكون من حق النقاد أن يسألوا عن الذين تداولوا هذا العمل فيها بعد ، وبغير المعرفة التاريخية التي تقوم على التحديد ( ١ ) الوساطة بين المثلث وخصوصه ومعرفة الزمن ، لا يتسع تحقيق الغاية كاملة من دراسة السرقات دراسة مجده . ولا تاريخ بغير مؤرخ ! ونحن في هذا المجال لانقصد مؤرخاً أيا كان ؛ بل إن المؤرخ الذي يعنيه مؤرخ بعيد المثال ، ولا يمكن أن يكون موجوداً على الوجه الذي تريد إلا في عصور مزدهرة بالحضارة ، وبين عقول زاخرة بالمعرفة ، امتازت ق البحث ، ونفرت من السطحية التي تنخدع بالظاهر ، ولا تستطيع الغوص على العلل والأسرار . وكل ذلك بعيد غير مستطاع . والسبب في أسعد حصوله واليأس من تتحققه ، أن ظواهر الخلق والإبداع كانت في عصور لا توافق في أكثر الأحيان بأنها من عصور النور والمعرفة ، ومثل تلك المصوّر يندر فيها وجود من تطلع إليه تلك الدراسات من الباحثين احقيتين . ثم إن أكثر تلك التواحي الإبداعية كانت فردية ، أي أن الذين خلقوها وأبدعواها كانوا أفراداً ، وأولئك الأفراد لم تكن لهم تلك القدرة على الإبداع بحكم تركيب الخلقة أو ترتيب البيئة أو الزمان أو المكان ، أو مقتضيات ذلك الزمان ، أو من خصائص هذا الجنس من الناس . فقد وجد القوة الخالقة والعبقرية المبتعدة ، على حين يوجد القادر على رصد إشماعات تلك القدرة ، أو تسجيل ما أبدعه من آثار • وقد توجد العقلية القادر على رصد الظواهر وتتبعها في بيئه أو زمان لاعبرية فيه ولا خلق ولا إبداع ! إذا لم يكن في حكم المستحيل - .

والأساس في كل دراسة أن توجد الظاهرة ، وأن يكتب لها شيء من النبوغ والانتشار ، وأن يكون في تلك الظاهرة ذلك من الصفات ما يجعلها جديرة بالبحث والدرس ، والرصد والتتسجيل ، لا تعمل فيه ولا كد ولا مجاهدة . وفي سبيل الوصول إلى تلك الحالات المتتابعة ، والمفقوحة في الوقت ذاته ، الأساس كما قدمنا ينبغي أن يكون أساساً تاريخياً ، وهذا الأساس مع الحق غير ميسور لنا ، ولا شك أنه كان على هذه الدرجة من العسر ، ولا يمكن أن تكون سرقة ، إلا إذا كان هناك مسروق منه ، ولا يمكن أن ندعى أن هنالك تقليداً أو اتباعاً ، إلا إذا كان بين أيديينا على يميني بالمقدم أو الأصل ، حتى يعرف المتبع من التابع ، والأصل من الفرع معرفة يقينية ، وعندئذ نستطيع أن نضع أيديينا على السرقة ، ولكن هذا الحكم الجازم غير مستطاع ، مادامت أسبابه غير مهيئة لنا ، مع الاعتراف بضرورة هذا البحث ، وعظم حدواء في الدراسات الأدبية والنقد الأشفي وهذا الاعتراف يقتضينا شيئاً من التسامح ؛ إذ كان البحث في السرقات موضوعاً يتصل بالنقد الأدبي ، وهدف النقد التمييز بين القسم الأدبية الصحيح وفي هذا التمييز لا يمكن أن ندعى أن الأحكام التي تدلّى بها أحكام لازمة أو ملزمة ، ولا يمكن أن ندعى شيوع الحكم أو التسلیم به تسلیمها مطلقاً ملزماً لجميع العقول " كما هو الشأن في العلوم التجريبية والعلوم الرياضية . في الحدود التي تمكن صاحبها من الاجتهاد ، وكان مبنياً أيضاً على الاطلاع الذي قد يكون واسع المدى ، وقد يكون محدوداً . لا يمكن أن يوصف بالإحاطة المستوعبة ، لأن

كثيراً من هذا الأدب أصابه الضياع لأسباب كثيرة ، ليس هذا مجال البحث فيها . إذاً كنا قد فقدنا جانباً من الأسس المعتمدة في هذا المجال في تناول الجزئيات ؛ فإن أمامنا من ناحية أخرى ثروة في الكليات ، وتكونت لدينا مجموعة من المعارف والآراء ، نستطيع بها أن ندون معالم هذه الدراسة المتشعبة ، وأن ننظمها من أهم النواحي التي ينظر إليها المحدثون في الدراسات الأدبية والنقد الأدبي . وقد كان في طول العکوف على دراسة النقد الأدبي ، وتتبع اتجاهاته ومناهجه المختلفة من عقل إلى عقل ، ومن عصر إلى عصر ، ما أعنان على هذه الدراسة التي بحثت فيها عن مواطن الابتكار ومحالات التقليد ، تنظيم الفكرة ، ولم شعبها ، وجمع متفرقاتها ، في هذا الموضوع الذي نال من قدامي الباحثين من الجد والعناية ما لم يثل بعضه من عناية المعاصرين . والأمل ، بعد ذلك أن يعين الله على دراسة هذا الموضوع دراسة أخرى من الناحية التاريخية ، توقف على تطور الفكرة